الرِّسَـــالة ٢٣٤

الشكرُ المَرفوضُ

(Arabic – The Pharisee's prayer)

أحبّائِى.. حَديثَنا اليَوْمَ مَوْضُوعُهُ: **الشكرُ المَرفوضُ.**

ومِنْ إنجيل لوقا الأصْحَاح الثامِن عَشَرَ نقرَأ العَدَد الحَادِى عَشَرَ:

"أمّا الفرّيسِىُّ فوقفَ يُصلى فى نفسِهِ هكذا: اللهُمّ أنا أشكرُكَ إنّى لستُ مِثلَ بَاقِى النّاس. الخَاطِفين الظالِمين الزُّناةِ. ولا مِثلَ هذا العَشّار".[١]

دَخَلَ أحَدُ الفرّيسيِّينَ الهَيكلَ. وكَانَ وَاحِداً مِنْ قوْمٍ واثِقينَ بأنفسِهِمْ أنّهُم أبْرَارٌ ويَحتقِرُونَ الآخَرينَ. وقدَّمَ صَلاةَ شُكر للهِ. كَانَ واثِقاً مِنْ نفسِهِ أنّ صَلاتَهُ مَقبُولة يُثابُ عليْهَا. فهُوَ يَصُومُ مَرّتيْن فِى الأسبُوع ويَدفعُ مِنْ مَالِهِ عُشْراً حَسَبَ الشّريعَةِ. وَهُوَ يَشكرُ اللهَ أنّهُ ليْسَ مِثلَ بَاقِى النّاس الخَاطِفينَ الظالِمينَ الزُّناةِ. وكَانَ مُقتنِعاً أنّهُ يَتمَيّزُ عَنْ غَيْرِهِ. ولِمَ لا؟. وَهُوَ الرّجُلُ المُصلِى الذِى لا يُقصّرُ فِى تأديَةِ صلواتِهِ. بلْ هُوَ يُؤدِّيهَا فِى هَيكل قدْس اللهِ.[٢]

وفِى صَلاةِ الشُكر الذِى قدّمَهَا ذلِكَ الفرِّيسِىُّ أشَارَ إلى ذلِكَ العَشّار الذِى لمَحَهُ يُصلِى فِى الهَيكل مَعَهُ. لمَحَهُ واقِفاً مِنْ بَعيدٍ. رَافِعاً صَلاتَهُ فِى اتِضاع لِفرْطِ إحْسَاسِهِ بشنَاعَةِ مَا اقترَفَ. لقدْ امتَلأ الفرِّيسِىُّ زَهْواً واعتِدَاداً بذاتِهِ. وأحَسّ بعِظم الفَارق بَينَهُ وبيْنَ ذلِكَ العَشّار الخَاطِئ. لِذلِكَ شَكَرَ اللهَ أنّهُ ليْسَ خَاطِئاً مِثْلَهُ والعيَاذ باللهِ. رَآهُ وَاقِفاً عَنْ بُعْدٍ فِى استِحْيَاءٍ وخَجَلٍ. لمْ يَشَأ أنْ يَرفعَ عَيْنيْهِ نَحْوَ السّمَاءِ. وكَيْفَ يَرْفعُ؟. أوليْسَ هُوَ عَشّاراً خَاطِئاً؟. كَانَ الفرِّيسِىُّ يُحدِّثُ نَفسَهُ مُعتدّاً بذاتِهِ. ويَنْظرُ مُشْمَئِزاً إلى ذلِكَ العَشّار. مُتفكّراً فِى قلبِهِ: شَتَانَ الفرْقُ بيْنِى وبيْنَهُ.

مَشْهَدٌ مُؤثرٌ صوّرَهُ الرّبُّ يَسُوعُ أمَامَ تلاميذِهِ لِرجُلَيْن يُصلِيَان دَاخِلَ الهَيْكل. وَاحِدٌ امْتلأ ثِقة بنفسِهِ أنّهُ بَارٌّ لِدَرَجَةِ أحْسَاسِهِ أنّهُ يَجْدُرُ بِهِ أنْ يَشكرَ اللهَ على مَا هُوَ عليْهِ مِنْ البرِّ. وقدْ أخَذَ يُعَدِّدُ أعْمَالَ برِّهِ مُقارناً نفسَهُ بالآخَرينَ. واثِقاً أنّهُ جَديرٌ بكَسْبِ رضَا اللهِ عَنْهُ. وآخَرُ يُصلِى لكِنّهُ على النّقيض مِنَ الأول. فليْسَ لهُ مِنْ برٍّ ليَتقدّمَ بِهِ إلى اللهِ. إذ وَقفَ العَشّارُ مِنْ بَعيدٍ لا يَشَاءُ أنْ يَرفعَ عَيْنيْهِ نَحْوَ السّمَاءِ. بلْ قرَعَ على صَدْرِهِ قائِلاً: "اللهُمّ ارْحَمنِى أنَا الخَاطِئ". لقدْ ذكَرَ لوقا البَشيرٌ فِى إنجيلِهِ ذلِكَ المَثَلَ الذِى سَرَدَهُ الرّبُّ يَسُوعُ. كَمَا ذكَرَ تَعقيبَ الرّبِّ إذ قالَ لِهؤلاءِ القوْمِ: "أقولُ لكمْ إنّ هذا" مُشيراً إلى العَشّار الخَاطِئ."نَزلَ إلى بيتِهِ مُبرّراً دونَ ذاك".[٣]

لقدْ ذكَرَ لوقا البَشيرُ بإنجيلِهِ الأصْحَاح السّابع عَشَرَ أنّهُ حَدَثَ بَينَمَا كَانَ يَسُوعُ فِى طريقِهِ إلى أورُشليمَ اجتازَ فِى وَسَطِ السّامِرَةِ والجليل. وفيمَا هُوَ دَاخِلٌ إلى قرْيَةٍ. استقبلهُ عشَرَة رجَالٍ بُرْصٌ فوقفوا منْ بَعيدٍ. ورَفعُوا صَوتاً قائِلينَ: يَا يَسُوعُ. يَا مُعلِمُ. ارْحمنَا. فنَظرَ وقالَ لهُمْ: اذهَبُوا وأرُوا أنفسكمْ لِلكَهنَةِ. وفيمَا هُمْ مُنطلِقون طهَرُوا. فوَاحِدٌ مِنْهُمْ لمّا رَأى أنّهُ شُفِىَ رَجَعَ يُمَجِّدُ اللهَ بصَوْتٍ عَظيم. وخَرّ على وَجْهِهِ عِنْدَ رجليْهِ شَاكِراً لهُ وكَانَ سَامِرِيّاً. فأجَابَ يَسُوعُ وقالَ: "أليْسَ العَشَرَة قدْ طهَرُوا؟. فأيْنَ التسْعَة. ألمْ يُوجَدْ مَنْ يَرْجعُ ليُعْطِىَ مَجْداً للهِ غَيْرُ هذا الغَريبُ الجنْس؟"[٤]. ثمّ قالَ لهُ قمْ وامْض. إيمَانكَ خلصَكَ. كَانَ شُكرُ السّامِرِىِّ غَريبِ الجنْس لِلرّبِّ يَسُوعَ مَقبُولاً أمّا شُكرُ ذلِكَ اليَهُودِىِّ الفرِّيسِىِّ المُتعَبِّدِ فِى الهَيْكل فكَانَ مَرْفوضاً لأسْبَابٍ نوجزُهَا فِى ثلاثة:

أوّلاً: تَعكِسُ صَلاة الفرِّيسِىِّ افتِخَاراً بأعْمَالِهِ الصّالِحَةِ أمَامَ اللهِ.. إنّ إظهَارَ الثِقةِ بالنّفس أمَامَ اللهِ والافتخَارَ بأعْمَالِنَا الصّالحة يُبعِدُنا عَن اللهِ ولا يُقَربُنَا مِنْهُ. ذلِكَ الإحْسَاسُ يُولدُ فينَا شُعُوراً بالاكتِفاءِ وأنّنَا لسْنَا بحَاجةٍ إلى برٍّ

[١] إنجيل لوقا ١٨ : ١١ ، استمع إلى الإنجيل
[٢] سفر الأمثال ١٦: ١٨
[٣] إنجيل لوقا ١٨ : ١٣ – ١٤
[٤] إنجيل لوقا ١٧ : ١١ – ١٨

اللهِ. لقدْ جَاءَ العَشّارُ إلى الهَيكل بإحْسَاس الحَاجَةِ إلى برِّ اللهِ فنَالهُ. وجَاءَ الفرِّيسيُّ واثِقاً مِنْ برِّهِ الذاتِيِّ فعَادَ إلى بَيتِهِ مَرفوضاً. قالَ الرّبُّ يَسُوعُ فِي مُستهل عِظتِهِ على الجَبَل: "طوبَى لِلجيَاع والعِطاش إلى البرِّ لأنّهُمْ يُشْبَعُونَ".

حينَ طلبَ التلاميذ مِنَ الرّبِّ أنْ يُعلِمَهُمْ كَيْفَ يُصلونَ أوْضَحَ لهُمْ الأسلوبَ الأمثلَ لِلصّلاةِ. وَهُوَ أنّ نَسألُ اللهِ أنْ يَغفِرَ لنَا ذنوبَنَا كَمَا نَغفِرُ نَحْنُ أيْضاً لِلمُذنبينَ إليْنَا. إنّ الوَسيلة المُثلى كَيْ نقتربَ إلى عَرْش نعْمَةِ اللهِ أنْ نقتربَ جَوْعَى ظمْأى لِبرِّهِ وفيْض نِعْمَتِهِ. قالَ يُوحنّا الرّسُولُ فِي رسَالتِهِ الأولى: "إنْ قلنَا إنّنَا بلا خَطيّةٍ نَضِلُّ أنفسنَا وليْسَ الحَقُّ فينَا. ولكِنْ إنْ اعترَفنَا بخَطايَانَا فهُوَ أمينٌ وعَادِلٌ حتى يَغفِرَ لنَا خَطايَانَا ويُطهِّرَنا مِنْ كلِّ إثْم".[1]

ثانياً: إحْسَاسُهُ ببرِّهِ أسْقطهُ فِي بَالوعَةِ الغُرُور بالذاتِ واحتقار الآخَرِينَ.. كَانَتْ صَلاة الشُكر التِي رَفعَهَا الفرِّيسِيِّ مَرفوضَة. لأنّ شُكرَهُ كَانَ مُسْتنِداً على أنّهُ لَيْسَ مِثْلَ بَاقِي النّاس الخَاطِفِينَ الظالِمِينَ الزُّناةِ. فليْتنَا ندْرِكُ حقيقة ذواتِنَا أنّنَا مِثْلَ بَاقِي النّاس. والمَسيحُ تحمّلَ المَوْتَ على صّليبِ العَار مِنْ أجل جَميع النّاس بلا استِثْنَاءِ.

شَتَانَ الفَرْقُ بَيْنَ صَلاةِ الفرِّيسِيِّ والعَشّار الذِي كَانَ يُصلِي فِي الهَيكل فِي الوقتِ نفسِهِ. وإذا قرَأنا صَلاةَ نَحَمْيَا المَذكورَة بسِفرِهِ بالأصْحَاح الأوّل. نَجدُ مَثلا رَائِعاً للصّلاة إذ هُوَ يَعترفُ أنّهُ وبَيْتُ إبيهِ أخْطأوا. ويقولُ: جلسْتُ وبكيْتُ ونحْتُ أيّاماً وصُمْتُ وصليْتُ أمَامَ إلهِ السّمَاءِ. وقلتُ أيُّهَا الرّبُّ إلهُ السّمَاءِ الإلهُ العَظيمُ المَخُوفُ الحَافِظ العَهْدِ والرّحْمَةِ لِمُحبِّيهِ وحَافِظِي وَصَايَاهُ. لِتكنْ أذنكَ مُصْغِيَة وَعَيْنَاكَ مَفتوحتيْن لِتسْمَعَ صَلاةَ عَبْدِكَ الذِي يُصلِي إليكَ الآنَ نَهَاراً وليْلاً لأجل بنِي إسْرَائيلَ عَبيدِكَ ويَعترفُ بخَطايَا بنِي إسْرَائيلَ التِي أخْطأنَا بهَا إليكَ فإنّي أنَا وبَيْتُ إبِي قدْ أخْطأنَا. لقدْ أفسَدْنَا أمَامَكَ ولمْ نَحْفظ الوَصَايَا والفرَائِضَ والأحكَامَ التِي أمَرْتَ بهَا مُوسَى عَبْدَكَ.

وإذا قرَأنا صَلاةَ دَانيال المَذكورَةَ بسِفرِهِ الأصْحَاح التاسِع نَجدُ مثلا ثانياً رائِعاً للصلاة إذ هُوَ يَعترفُ أنّهُ وسَائِرُ الشّعْبِ أخْطأوا فهُوَ يقولُ: فوَجَهْتُ وَجْهِي إلى اللهِ السّيِّدِ. طالباً بالصّلاةِ والتضَرُّعَاتِ. بالصّوْم والمَسْح والرّمَادِ. وصليْتُ إلى الرّبِّ إلهِي. واعترفتُ وقلتُ أيُّهَا الرّبُّ الإلهُ العَظيمُ المَهُوبُ. حَافِظ العَهْدِ والرّحْمَةِ لِمُحبِّيهِ وحَافِظِي وَصَايَاهُ. أخْطأنَا وأثِمْنَا وعَملنَا الشّرّ وتمرّدْنَا. وَحُدْنا عَنْ وصَايَاكَ وَعَنْ أحكَامِكَ.[2]

ثالِثاً: صَلاة الفرِيسِيِّ كَانَتْ خَالِيَة مِنْ رُوح الاتِضَاع.. وذلِكَ جَعلَ شُكرَ الفرِّيسِيِّ غَيْرَ مقبُول. إنّ اللهَ يَرفضُ كلّ صَلاةٍ مِنْ ذلِكَ النّوْع حتى لوْ زَخْرَفنَاهَا بأحلى زَخَارفِ الشُكر والحَمْدِ المُزَيّف. إنّ اللهَ يَرَى أمْثالَ هؤلاء الشّاكِرينَ قبُوراً مُبَيّضَة. ولقدْ ذكَرَ متى البَشيرُ فِي إنجيلِهِ قولَ الرّبُّ يَسُوعَ لِلكتبَةِ والفرِّيسيّينَ: "وَيلٌ لكمْ أيُّها الكتبَة والفرِّيسيُّونَ المُرَاؤونَ لأنكمْ تشْبهُونَ قبُوراً مُبَيّضَة تظهَرُ مِنْ خَارج جَميلة وَهِيَ مِنْ دَاخِلٍ مَملُوءَة عِظام أمْوَاتٍ وكلّ نَجَاسَةٍ. هكذا أنتمْ أيْضاً مِنْ خَارج تظهَرُونَ لِلنّاس أبْراراً ولكِنّكمْ مِنْ دَاخِلٍ مَشْحُونونَ رِيَاءً وإثماً". وجَاءَ برسَالةِ يَعقوبَ الأصْحَاح الرّابع أنّ اللهَ "يُقاومُ المُستكبرينَ أمّا المُتواضِعُون فيُعْطيهِمْ نِعْمَة". ولقدْ خَتمَ الرّبُّ يَسُوعُ مَثَلَ الفرِّيسِيِّ والعَشّار المَذكور بإنجيل لوقا بقولِهِ: "لأنّ كلّ مَنْ يَرفعُ نفسَهُ يتضِعُ ومَنْ يَضَعُ نفسَهُ يَرتفِعُ".[3]

إنّ أعْمَالنَا الصّالِحَة لا تطهِّرُ مِنْ دَنَس ولا تنَقِي مِنْ شَوَائِبَ. ليْسَ سِوَى دَمُ الفادُى كَيْ نَغتسِلَ بهِ ونَطهُرَ. ليسَ هُنَاكَ اعترَافٌ مقبُولٌ أمَامَ اللهِ مِثْلَ الاعترَافِ بأنّنَا مِثْلَ بَاقِي النّاس. وليْسَ مِنْ وسيلةٍ بهَا نقتربُ إلى عَرْش النِعْمَةِ مِثْلَ الاتضَاع والانكِسَار قدّامَ اللهِ. قالَ دَاوُدُ النّبيُّ فِي مَزْمُورِهِ الحَادِي والخَمْسينَ: " لأنكَ لا تسَرُّ بذبيحَةٍ وإلا فكنتُ أقدِّمُهَا. بمُحْرقةٍ لا ترْضَى. ذبَائِحُ اللهِ هِي رُوحٌ مُنكَسِرَة. القلبُ المُنْكَسِرُ والمُنْسَحِقُ يَا اللهُ لا تَحْتقِرُهُ".[4]

ليتكَ أخِي ترْفعُ قلبكَ مُشْتركاً مَعِي فِي تِلكَ الصّلاةِ: أبَانَا السّمَاوِيّ..أشكرُكَ مِنْ أجل حُبِّكَ العَجيبِ الذِي غَمَرْتَ به عَبْدَكَ غَيْرَ المُستحِقِّ. آتِي إليكَ سَيِّدِي فِي استِحقاق الدّم الكريم. رَاجياً صفحَكَ وغُفرَانَكَ مُعترفاً بأنّنِي أخْطأتُ وعَوّجْتُ المُستقيمَ. أرفعُ صَلاتِي فِي اسْم يَسُوعَ البَارِّ يَا مَنْ وَعَدْتَ قائِلاً: مَنْ يُقبلْ إليّ لا أخْرجْهُ خَارجاً.

أخِي القارئ العزيز.. إنْ أرَدْتَ سَمَاعَ تِلكَ الرِّسَالةِ أو غَيرَهَا ستجدُ ذلِكَ فِي:
http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm

---

[1] رسالة يوحنا الرسول الأولى ١: ٨ – ٩
[2] سفر نحميا ١: ٤ – ٧ ، سفر دانيال ٩: ٣ – ٥
[3] إنجيل متى ٢٣: ٢٧ – ٢٨ ، رسالة يعقوب ٤: ٦ ، إنجيل لوقا ١٨: ١٤
[4] الرسالة إلى العبرانيّين ٤: ١٦ ، سفر المزامير ٥١: ١٦ – ١٧